عذاب الدنيا والاخرة والحاصل ان المراد بالنجاة الاولى هو النجاة من عذاب الدنيا وهو الريح العقيم
السموم المذكورة وبالثانية هو النجاة من عذاب الاخرة ايضا والمعنى انه تعالى كما انجاهم من عذاب
الدنيا ينجيهم من عذاب الاخرة ووصف عذاب الاخرة بكونه غليظا لانه اعظم من عذاب الدنيا
ثم لما ذكر قصة عاد خاطب قوم محمد صلى الله عليه وسلم فقال **وتلك عاد** اشار الى اثار قوم هود المهلكين
في طريق الشام اى تلك الاثار اثار عاد يا اهل مكة تسيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا بها انث
اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم واثارهم ثم وصف حالهم بقوله **جحدوا**
بايات ربهم اى كفروا بالايات والعلامات الدالة على توحيده والمعجزات الدالة على صدق رسوله
هود عليه السلام **وعصوا رسله** يعنى هودا وحده وذكره بلفظ الجمع اما للتعظيم او لان من كذب
برسول واحد فقد كذب كل الرسل لاتفاق كلمتهم على التوحيد **واتبعوا امر كل جبار عنيد**
يعنى ان السفلة والسقاط من قوم هود اتبعوا الرؤساء والمراد بالجبار الرفيع فى نفسه المتكبر المتمرد
على الله والعنيد المعاند الذى لا يقبل الحق ولا يتبعه وقيل الجبار هو الذى يضرب ويقتل عند الغضب
والعنيد لا يقول الحق فلا يقبله وان عرفه والمعنى انهم عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا
من دعاهم الى الكفر وما يرديهم هذا هو جرمهم ثم بين عقوبة تلك السفلة بقوله **واتبعوا فى هذه**
الدنيا لعنة ويوم القيمة يعنى جعلت اللعنة لازمة تابعة لاحقة لهم فى الدارين يعنى لا تفارقهم
وان ذهبوا كل مذهب بل تدور معهم حيث داروا بسبب اتباعهم لرسائهم الضالين المضلين
الملعونين فى الكفر والطرد والابعاد من رحمة الله واخرج ابن ابى حاتم وابو الشيخ عن السدى فى قوله
واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة قال لم يبعث نبى بعد عاد الا لعنت عاد على لسانه واخرج ابو
الشيخ عن مجاهد فى قوله واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة قال لعنة اخرى واخرج ابن المنذر وابو الشيخ
عن قتادة فى الاية قال تتابعت عليهم لعنتان من الله لعنة فى الدنيا ولعنة فى الاخرة ثم ذكر السبب الذى
استحقوا به هذه اللعنة فقال تعالى **الا ان عادا كفروا ربهم** اى كفروا بربهم يعنى جحدوه فاجرى
كفروا مجرى جحدوا فعدى بنفسه كما ان جحدوا اجرى مجرى كفروا فعدى بالباء فى قوله جحدوا بايات
ربهم **الا بعدا لعاد** اى بعدا من رحمة الله وهلاكا لهم دعا عليهم باللعن بعد هلاكهم ليدل
على استحقاقهم له يقينا وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم فان قلت
اللعنة معناها الابعاد والهلاك فما الفائدة فى قوله الا بعدا لعاد لان الثانى هو الاول قلت الفائدة
فيه ان التكرير بعبارتين مختلفتين يدل على نهاية التاكيد وانهم كانوا مستحقين له **قوم هود** عطف
بيان لعاد فان قلت هذا البيان حاصل معلوم فما الفائدة فى قوله قوم هود قلت ان عادا كانوا قبيلتين
عادا الاولى القديمة الذين هم قوم هود وعادا الثانية وهم ارم ذات العماد وهم العمالقة وفى الاسرار وعاد
الثانية هم قوم صالح فاتى بقوله قوم هود ليزول الاشتباه وجواب اخر وهو ان المبالغة فى التنصيص
تدل على تقوية التاكيد **والى ثمود** اى ولقد ارسلنا الى ثمود العماة الصم وهم سكان الحجر **اخاهم** فى
النسب لا فى الدين **صالحا** عليه السلام ليسمعهم ويبصرهم عبادة الله وتوحيده اذ **قال يا قوم**
اعبدوا الله اى وحدوا الله وخصوه بالعبادة **ما لكم من اله غيره** يعنى هو المستحق
العبادة

للعبادة لا هذه الاصنام ثم ذكر الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته فقال **هو انشاكم**
من الارض اى هو خلقكم وكونكم من الارض لا غيره فانه خلق ادم ومواد النطف التى خلق نسله
منها من التراب وتخصيصه ان الله خلقكم من الارض وذلك انهم من بنى ادم وادم خلق من الارض **و**
استعمركم فيها يعنى وجعلكم عمارها وسكانها وقال الضحاك اطال اعماركم فيها حتى كان الواحد منهم
يعيش ثلثمائة سنة الى الف سنة وكذلك كان قوم عاد وقال مجاهد اعمركم من العمرى اى جعلها لكم ما عشتم
وفى الغاية معناه امركم بالعمارة فيها او جعلكم عمارها اى سكانها او استبقاكم فيها من العمر او من العمرى
وهى ان يقول الرجل اعمرتك هذه الدار اى لك الانتفاع بها مدة عمرك وعلى هذا فالمعنى انه اعمركم فيها
دياركم وهو يرثها منكم وترجع بعد موتكم او جعلكم معمرين لغيركم لان من ورث غيره فكانه اعمره اياها وفى
المدارك وكان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما فيهم من
الظلم فسال نبى من الانبياء فى زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى الله اليه انهم عمروا بلادى فعاش
فيها عبادى **فاستغفروه** اى من ذنوبكم فان ما فصل من فنون الاحسان داع الى الاستغفار عما وقع منهم
من التفريط **ثم توبوا اليه** من الشرك والمعاصى ثم ذكر موجب الاستغفار والتوبة فقال **ان**
ربى قريب اى قريب الرحمة او قريب من المومنين كقوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين قال
السيوطى انه قريب من خلقه بعلمه **مجيب** لمن دعاه وقد روعى فى النظم الكريم نكتة حيث قدم
ذكر العلة الباعثة المتقدمة على الامر بالاستغفار والتوبة واخر عنه ذكر الغاية المتاخرة عنهما
فى الوجود اعنى الاجابة ثم لما قرر صالح عليه السلام هذه الدلائل **قالوا يا صالح قد كنت**
فينا مرجوا قبل هذا اى قبل هذا القول الذى جئت به والمعنى انا كنا نرجو ان تكون فينا سيدا
لانه كان من قبيلتهم وكان يعين ضعيفهم ويغنى فقيرهم وقيل معناه كنا نطمع ان تعود الى ديننا
فلما اظهر هم دعاءهم الى الله وعاب الاصنام انقطع رجاؤهم منه قال الشيخ معناه كنا نرجو منك
الانتفاع بك فى ديننا وتدبير امورنا قبل ان تدعونا الى دين غير دين ابائنا فلما نطقت بهذا القول
انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا ان لا خير فيك قال ابن عباس يعنى مرجوا يعنى قد كنت فينا فاضلا خيرا نقدمك
على جميعنا **اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا** اى ما عبدوه من الالهة والعدول الى صيغة المضارع
لحكاية الحال الماضية تمسكوا بطريق التقليد ونظير تعجبهم هذا ما حكاه الله تعالى عن كفار مكة
فى قوله اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشئ عجاب **واننا لفى شك مما تدعونا اليه**
من التوحيد والتبرى من الاوثان **مريب** يعنى انا مرتابين فى قولك اى موقع فى الريبة فهو
اسم فاعل من ارابه اذا اوقعه فى الريبة وهى قلق النفس ووقوعها فى الريبة والتهمة فهو متعد
او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة فهو لازم والاسناد مجازى **قال يا قوم** اى قال صالح عليه
السلام مجيبا لقومه يا قوم **ارايتم** اى اخبرونى **ان كنت** فى الحقيقة **على بينة** اى على حجة
ظاهرة وبصيرة ويقين وحرف الشك باعتبار المخاطبين **من ربى** اى من مالكى ومتولى امرى والاضافة
للتشريف **واتانى** اى واعطانى **منه** اى من لدنه **رحمة** اى نبوة وحكمة فانها افضل من الله قال الاستاد
اتى بان للشك مع انه عليه السلام على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكانه قال قدروا انى على

Copyright King Saud University